



جمعية أمسياء مصر (التربية عن طريق الفن)  
المشرفة برقم (٥٢٢٠) سنة ٢٠١٤  
مديرية الشؤون الإجتماعية بالجيزة

## العلاج بالفن: اضطراب طيف التوحد Art Therapy: Autism Pectrum Disorder (ASD)

بحث إعداد

**أ.د. / عفاف أحمد محمد فراج**

أستاذ علم نفس التربية الفنية (المتفرغ)  
كلية التربية الفنية  
جامعة حلوان

**أ.د. / مصطفى محمد عبد العزيز**

أستاذ علم النفس ، ومادة تحليل التعبير الفني  
لفنون الأطفال والبالغين (المتفرغ)  
كلية التربية الفنية – جامعة حلوان

## مقدمة:

هذا البحث يركز على جهود الباحثة Zara Patterson والباحثة Zara Patterson تعمل في الخدمة العامة لحالات الانطواء على النفس والتي قاعدة مصادرها ترتبط بالمدارس الابتدائية والثانوية. بما يسمح لـ Zara Patterson أن تركز على المادة العلاجية بتفصيلاتها والصور التي بسررد القصة العلاجية "الولد" The images That Tell the Movung "The Boy" Thepaputic Story of " والباحثة تحترم رغبة الولد في أن يعرف عنه القارئ "ماذا هو؟" (ما الذي يمكنه فعله) وليس "من هو؟" (مجرد تعريف بحث له). وأسلوب الكتابة المباشر يُبقي على الأثر النفسي الذي يحدثه هذا العمل العلاجي وما هو مفروض أن يكون عليه "الولد". فمعاناته مُعبر عنها ومشاركة في عالم "كُمة الرأس" beanie World. وبدخول هذا العالم، تعمل الباحثة على إحياء العملية العلاجية على مدى أربعة سنوات مع ولد صغير كان توأم لشقيق آخر ويعاني صعوبات في الكلام واللغة والانتباه وفي التحكم الحركي له والإدراك "DAMP". أسباب إحقاقه العلاج النفسي سلوكه عالي التوتر الذي يصاحبه سلوك دفاعي ، يمنعانه من التعلم بشكل طبيعي. وتبين الباحثة كيف أن التحولات داخل عالمه الداخلي سمحت للعب والحوار والمحاكاة والفكاهة أن يتطوروا في علاقاتهم مما سمح لها بمساعدة عملية انتقاله الصعبة إلى المدرسة الثانوية.

بدأت Zara Patterson حياتها المهنية كمدرسة للفنون ومُعلمة في المدارس وفي خدمة الصحة القومية في إنجلترا وفي الخدمات الاجتماعية. ومن هذا العمل مع العملاء المختلفين تخصصت في العمل على مدى ١٤ عاماً في الخدمة العامة للأطفال الانطوائيين. في البداية قامت بالتدريس وإدارة إحدى قواعد المصادر ثم اتجهت إلى العمل كمعالجة بالفن بعد تأهيلها في عام ١٩٩٥، أصبحت عضوة في لجان عمل كثيرة وتبوأَت منصب مدير الخدمات Service Manage قبل تقاعدها عن العمل.

## تمهيد :

تقول Zara Patterson : في فترة عملي على مدى سنوات في خدمة حالات الانطواء على النفس المرضية (Autism)، حصلت على ميزة وفرصة العمل مع عدد كبير من الشباب الصغار من سن المرحلة الابتدائية حتى مرحلة المراهقة وما بعدها. على الرغم أنه يوجد تشابهاً في الصعوبات التي يُعانون منها، إلا أن كل فرد منهم يُعاني "حالة اضطراب طيف التوحد" [ASD] له شخصية مختلفة ومتفردة عن غيره.

إن خدمة حالات الانطواء على النفس المرضية تملك قواعد من مصادر البيانات موجودة في المدارس الابتدائية والثانوية التي تقدمها. كما أن هذه الخدمة المحلية لديها فريق من المتخصصين في هذا المجال يقدمون النصح والإرشاد للأطفال والشباب في المدارس. والطلاب الذين يحضرون جلساتهم هم هؤلاء الطلاب الذين في حاجة إلى جدول لقاءات مشورة علاجية وتدريب متخصص وتدخل علاجي مهني. ومع فريق العمل المتخصص يستطيع الطلاب أن يستفيدوا من قضاء الوقت مع أقرانهم في مناقشة موضوعات ممنهجة وموجهة أو لعمل مشاركات عمل خاصة. ومن خلال منهج تعليمي وبيئة حاضنة دافعة، تُقدّم قواعد مصادر هذه الخدمة الملاذ الآمن للطلاب.

من خلال العمل متعاونة مع مجموعة التدريس، يمتلك هذه الخدمة فريق من المُعالجين والذي يتكون من مُعالج بالفن وأخصائي حركة ورقص وأخصائي علاج بالموسيقى ومُعالج نفسي. فوجود فريق من المعالجين داخل بيئة تعليمية يمثل حالة نادرة جداً، لذلك يجب على الجميع العمل بكل جدية للحفاظ على هذا الوضع حتى تثبت أقدامه ويُقدم خدماته على أكمل وجه ممكن.

يقوم أحد المعالجين بعمل تقييم لكل الطلاب الجُدد ويُستخدم هذا التقييم كمؤشر على تحديد الحاجة الملحة للعلاج بالإضافة إلى أنه يُمكن المعالجين من المشاركة في مناقشة الحالة أمامهم مع مجموعة التدريس. والمعرفة والمنظور للمُعالج تُساهم في تكوين رؤية شاملة لكل جوانب نمو الطفل.

التحويل للعلاج ممكن أيضاً أن يحدث في أي مرحلة في حياة الطالب المدرسية، ويمكن البدء في إجراءاته لأسباب مثل: التغيرات في سلوك الطالب والأزمات الأسرية

والقضايا التي تتعلق بالمرافقة. على سبيل المثال (Sexuality)، قضية الجنسية واضطراب الانطواء الطيفي والصعوبة في تكوين العلاقات.

في هذا البحث تقول "Zara Patterson"، سوف أصف عملية العلاج مع ولد صغير في فترة امتدت إلى أربعة أعوام دراسية. واخترت عدد من الجلسات الخاصة معه لأشرح من خلالها فترات رئيسية في حياة الطفل ونموه. وبادئة بالجلسة التمهيديّة الأولى. سوف أصف خبرتي الأولى مع هذا الطفل وكيف شارك في عملية العلاج. وسأشير إلى بعض الموضوعات التي برزت في فترة العامين التاليين في أثناء استعداده للانتهاء من دراسة المرحلة الابتدائية وانتقاله إلى المرحلة الثانوية. الجزء الأخير من هذا البحث سوف أتحدث فيه عن العلاج في السنة الأولى لهذا الولد في المرحلة الثانوية بما في ذلك نهاية عملية العلاج له.

**ASD** هي حالة اضطراب في النمو والتي لا يمكن علاجها، وهي حالة تؤثر في الطريقة يكون بها الفرد علاقاته مع الآخرين والبيئة التي يعيش فيها. ولكي يتحقق تشخيص حالة ASD لابد التأكد من احتلال "مثلث الضرر" "Triad of Improvement" لشخصية الفرد. ومناطق الصعوبة "The areas of Difficulty" تكون:

**التفاعل الاجتماعي Social Interaction**: في هذا الجانب يُعاني الشخص من ضعف واضح في الاتصال الشعوري مع الآخرين.

**الاتصال الاجتماعي Social Communication**: يُعاني الشخص صعوبات في كل مناطق الاتصال، سواء اللفظي أو غير اللفظي بما في ذلك وضعية الاتصال ونغمة الصوت ولغة الجسم والتعبيرات الوجهية.

**التخيل Imagination**: يعاني الشخص ضعف في اللعب التخيلي واللعب مع غيره من الأشخاص وضعف في التبادل الوجداني الفكري.

هؤلاء الذين يُعانون حالة ASD ربما يواجهون صعوبات تعلم أخرى. فهم أيضاً ربما يُظهرون انجذاباً لأشياء معينة، وحساسية زائدة عن الحد نحو مثيرات معينة، الحاجة إلى المحافظة على المشابهة وبناء قدرة على ممارسة مهارات تجمع معينة وبناء ذاكرة قاعدتها جيدة.

في عام ١٩٤٣ كان Dr. Leo Kanner طبيب الأطفال الأمريكي أول من استخدم تعبير "انطوائي autistic" ليصف به نمط معين من الأطفال الذين يظهر في سلوكياتهم هذه التصرفات غير العادية. أيضاً كان Hans Asperger من الذين قدموا إسهامات في هذا المجال. فبتحديده لهؤلاء عند نهاية وظيفية أعلى في مقياس المدى الوظيفي مع ذكاء متوسط أو أعلى من المتوسط قليلاً، هم هؤلاء المصابون بحالة (AS) Asperger's Syndrome

تبقى أسئلة عديدة تحتاج لإجابة حول أسباب حالة ASD. في بريطانيا في الوقت الحاضر، تشير الإحصائيات النفسية إلى أن هناك ٥٣٥٠٠٠ شخص يُعانون مظاهر هذه الحالة. ربما تلعب الجينات الوراثية دوراً كبيراً لكنها ليست هي العامل الوحيد في ذلك. لقد سمحت تكنولوجيا تصوير المخ للباحثين دراسة تركيب ووظائف المخ وهناك دلائل على أنه ربما تكون هناك عديد من العوامل الفيزيائية تؤثر في نمو المخ وينتج عنها الانطواء على النفس، ويستمر الجدل أيضاً والخلاف حول التأثير البيئي المحتمل. إنه بدون إجابات محددة، فإن المناقشة حول المسببات والعلاج على هذا النحو تبقى مفتوحة النهاية، فلكل مجال مشارك في هذا الجدل له منظوره الخاص والبديل. فمن وجهة نظر العلاج النفسي للأطفال. على سبيل المثال، تعتبر Anne Alvarez (1992) أن المعسكرات المتقابلة قد اقتربت من بعضها كثيراً بل حدثت تداخلات عدة فيما بينها.

**الولد The Boy:** في فقرات هذا البحث تقول Zara Patterson : سوف أشير إلى الطالب في الحالة الدراسية التي أقدمها بـ "الولد"، وهذا هو طلبه عندما سمح لي أن أكتب عن عملي معه، ولم يرغب في أن أناديه في الكتابة باسم بديل حفاظاً على سرية المعلومات، حيث أنه تصلب الرأي خوفاً من أن يعرف القارئ حقائق عنه. في البداية طلب أن أناديه بـ "ولد الاثني عشر عاماً" لكن في أثناء المناقشة طلب اختصاره إلى "الولد". بالنسبة لـ "الولد" كان المهم بالنسبة له أن يعرف القارئ ما هي حالته وأسبابها وليس من هو كشخص هذا الولد ذو وجه جذاب وله شعر أشقر وعينان زرقاوتان ولون بشرته أصفر شاحب عليه نمشي، وقوامه عادي وليس طويلاً، يعيش الولد في منزل أسرته مع والديه الموظفين وله شقيقين، أحدهما توأمه ولا يتشابهه معه بشكل متطابق، والأخ الثاني أكبر منه بعامين.

## التحويل للعلاج Referral :

تم تحويل الولد إلى العلاج بالفن عندما كان يبلغ من العمر سبع سنوات بواسطة مدرسة بسبب سلوكه المتوتر. وفي ذلك الوقت كان الولد يهتم كثيراً بهؤلاء الأطفال الذين يحضرون لقاءات خدمة الانطواء النفسي كونهم من وجهة نظره أكثر انطواءً على النفس منه هو. وهذا التوتر أثار لديه الحاجة إلى جمع معلومات واقعية عن نفسه والآخرين من وجهة نظر من حوله، وبدوره ومع ذلك هذه الاستجابة السلوكية الدفاعية كانت تقف حائلاً أمام أي احتمالية لتعلمه.

هذا الولد عاش خبرة قاسية عند ميلاده كتوأم ثاني وقضاؤه بعض الأيام تحت الرعاية الخاصة في حين شقيقه التوأم عاد مع أمه إلى المنزل.

عند ميلاده كان مازال طفلاً رضيعاً مضطرباً ولم يكن يحرك أطرافه بعد ميلاده. كان يستجيب جيداً إلى التشجيع الضاغط لبناء حركاته الجسمية وعند سن ستة أشهر بدأ الجلوس وبدأ المشي عندما أكمل السنة الأولى من عمره. كانت هناك مقارنة دائمة مع توأمه الذي كان نموه أسرع منه في كافة الجوانب. في سن الحضانة كان يعاني بعض صعوبات الانفصال ومنذ ذلك الحين تنقل بين عدة منشآت تعليمية. كان يعاني حركة فم ضعيفة وتحكم ضعيف في اللسان، ومن هنا صعوبة في إخراج الأصوات الكلامية بشكل صحيح. في البداية حضر جلسات تخاطب مع أخصائيين في هذا المجال.

وبعد ذلك ظل لمدة عامين غير مستقر دراسياً. وفي المدرسة حيث لم تكن احتياجاته مفهومة من جانب مجموعة العمل في المدرسة كونهم غير متخصصين في فهم هذه الحالات. لوحظ أن سلوكياته هوجاء وخطيرة في توجهاتها ومن السهل إثارتها ويبدو دائماً شارد الذهن ولا يقدر على الإبقاء في حالة تركيز واستقرار شعوري. أشار التشخيص النهائي له عندما كان يبلغ سبع سنوات واصفاً سلوكياته على طيف الانطواء على النفس، مع معاناته صعوبات في الانتباه والتحكم في الحركة والإدراك "DAMP". وفي النهاية تم إلحاقه بقاعدة المصادر العلاجية لخدمة الانطواء على النفس في ذلك الوقت.

## الجلسة العلاجية الأولى : The First Session

تقول Zara Patterson دخل الولد الغرفة الصغيرة مقر عملي وكان الفراغ المحيط مليء بالحركة والأسئلة، ومن اللحظة الأولى أردت أن أحتويه جيداً. اقترب الولد من شيء صغير لين ليس له شكل مميز ومسكه بيده، ثم وجهه نحوي لكي أراه، فكان شكل حيوان مصنوع من القטיפ، عبارة عن "كُمة للرأس"، وتجول الولد داخل الغرفة ماسكاً بهذه اللعبة. وحركاته داخل الغرفة كانت تشبه الحركات الراقصة رغم عدم وجود نغمة أو تناسق.

ومثل كُمة الرأس (beanie) التي كان يمسكها أيضاً ظهر الولد بدون بناء داخلي ليتحكم فيه. فشعرت أنني في حاجة إلى محاولة ضبطه نفسياً بشكل مبدئي قبل البدء في أي شيء. وجهته نحو الكراسي ليجلس عليه، فجلس ماسكاً في يده كُمة الرأس، وكان من الواضح أنه لا يستطيع الجلوس لفترة طويلة إلى درجة أنه يبدو وكأنه سيقع وهو يتحرك جالساً، وفي نفس الوقت كان يفتح ويضم اللعبة في يديه، وانتهزت فرصة اهتمامه بهذه اللعبة وهو جالس وقلت له أن اسمها "Bee bee". ولم يسمح لي أن أمسكها لكنه حملها على يده واقترب كثيراً مني ليُريني إياها، وفي لحظات أخرى كان يضعها بجواره على الكرسي مُنطبقة خوفاً من أن آخذها.

بينما كان الولد يتحرك داخل الغرفة كان يطرح الأسئلة مثل: "كيف عرفتني أنهم يطلقون عليها 'كُمة الرأس'". هل عرفت أن اللعبة التي في يدي يُطلق عليها "Bee bee"؟ فهذا اسم أسد جبلي، هل تعرفين ذلك؟ وكيف عرفتني؟ هل عرفتني لأن هناك علامات سوداء على وجهه؟ وهل كل أسود الجبل عليها نفس هذه العلامات السوداء؟ كيف تعرفين؟ هل تأتي أسود الجبل من آسيا؟ أسود أخرى تأتي من إفريقيا، أليس كذلك؟ كيف تعرفين؟.

وضعت على الترابيزة بضع من الورق والمواد الفنية، وقبل أن أتمكن من إعطاء أي تفسير أو أقول لماذا نلتقي للعلاج، أخذ الولد عدد من الأقلام وبدأ يرسم، ومازالت اللعبة بين ذراعه يطبق عليها، وحتى في أثناء الرسم كان جسمه في حركة كلية مستمرة، يترك كرسيه، ويجلس على مقعدي ثم ينهض مرة أخرى ويقف أمامي أو أمام الترابيزة.

من خلال الرسم اتضح لي أن الولد تقوده الأفكار، فكان ينتقل من صورة لأخرى بدون حس منظم وبدون اكتمال صورة حتى آخرها، الأقلام كانت متناثرة على ورق الرسم،

ولم يكن قادراً على تنظيم المكان، فبدأت أنظم وضع الأقلام لأوجد فراغ من خلال يستطيع أن يرى الرسم الذي يُنفذه. فقد ظهر أن تعبيره التصويري يعكس حالة الانقسام الداخلي له. رسم كُمة الرأس بسرعة وبدون تفكير، وظهرت أنها معزولة وليس بينها ترابط، بدون هيكل أو بناء واضح وتبدو وكأنها طفيليات الأميبا وليست كحيوانات، رسمها كما لو أنها قائمة من الحقائق.

تقول Zare Patterson : عندما حان وقت الانتهاء كنت أحث الولد على أن يتوقف عن الرسم، وعلى أنه توجد ساعة حائط داخل الغرفة، إلا أنه لم يُظهر أي قدرة على الإشارة إلى الوقت والانتهاء يبدو صعباً عليه، فلم يستطع التوقف عن الرسم، إنها صعوبة الانتهاء والانفصال التي ظهرت جلياً عند وصوله إلى باب الغرفة ليغادر لكنه هرع عائداً مرة أخرى إلى الأقلام ليضيف علامة ما إلى رسمه. وبعد عدة محاولات استطعت إخراجها من الغرفة، وراقبته يسير بسرعة نحو فصله وفي يده لعبة Bee bee. شعرت في ذلك الوقت بأن فكري مُنهك ومتوقف قليلاً. بدأت أرتب المواد الفنية في أماكنها مرة أخرى وهو ما كان أمراً صعباً ي أثناء وجوده في الغرفة.

إن الطبيعة الفوضوية (Chaotic nature) لهذه الجلسة الأولى جعلتني بلا تفكير فاحتجت إلى الاسترخاء لأستعيد فكري مرة أخرى بمفردي. فعندما دخل الولد غرفتي، شعرت بتمسكه باللعبة التي وجدها وأنه لن يتركها أبداً كما لو أن الأمر يبين صعوبة في إعادة توحيد نفسه حال حدوث انفصال مع شيء ما لديه. وطريقة مسكه اللعبة ذكرتني بصور تبين حركة الجنين داخل الرحم والتواءه وتفاعله وكلامه مع توأمه. بقيت أفكر في خبرة ميلاد هذا الولد وأول خبرة انفصال له عن توأمه كما ذكرت في البداية. ومن مقابلتي الأولى له ومتابعة حركيته بدأت أكون صورة في ذهني عنه على أنه "ولد كُمة الرأس" beaie. وبدأت أفكر في لعبة Bee bee كشيء مُحير وفيه لغز كما وصفها Tustin (127 : 1992).

فالتفكير مع فريق التدريس له في كون هذه اللعبة تُشتت الذهن، جعلني أتجنب خبرة الإحساس بالبحث الذي يرتبط بالانفصالية واللاوجود. وبدأت أركز على أنه في المنشآت التعليمية، تؤخذ من الأطفال لعبهم بدون الاهتمام بعالمهم الشعوري وما ينتج عن ذلك تأثيرات في صفتها سلبية. إن فهم أهمية هذه اللعبة بالنسبة للولد كان جانب هام جداً. أيضاً تحتاج أن نفكر في هذه اللعبة على أنها شيء انتقالي (Winnicott 1971)، ومن هنا فكرت فيها على



أنها شيء في هذه المرحلة ممكن أن يعوق النمو وفي نفس الوقت شيء ممكن أن يُقدم المساعدة.

أيضاً ظللت أفكر في الأسئلة التي طرحها الولد على أنها ميكانيزم للدفاع، لقد طرحها علي بدون توقف وإعطائي فرصة للإجابة عليها، لقد شعرت أنه يملأ كل فراغ بأسئلته التي يعرف هو بالفعل الإجابة عليها، كما شعرت أنه يختبر معلوماته مع نفسه من خلال طرح هذه الأسئلة، وفي نفس الوقت اختباري أنا شخصياً بطريقة تؤكد أنه يعرف أنني أعرف إمكانية إجابته هو عليها. لقد عرفت فيما بعد أنه يرفض أن يظهر في موقف أنه لا يعرف أو أنه ولد غبي.

يصف Witkin (1-29 : 1974) أن للطفل عالمين: أحدهما يتمثل في البيئة الموجودة سواء تواجد فيها الطفل أم لا، وهذا العالم الخارجي مليء بالأشياء والحقائق وآخرين من الناس. أما العالم الثاني - العالم الداخلي - يتكون من أحاسيس الطفل ومشاعره ومذكراته. وهذا العالم موجود لأن الطفل موجود وله فراغ يشغله هو فقط. ومن خلال سلوكيات الطفل وحالة تكيفه يتناسج هذين العالمين مع بعضهما ويصبح الطفل متكاملًا ويبنى إحساس بالذات.

بالنسبة للولد وغيره من الأطفال المصابون بحالة ASD الذين يحاولون يائسون جعل عالمهم قابل للفهم والتوقع، فإن تثبيت الحقائق داخل أفكارهم يتيح لهم الإحساس بالأمان والقدرة على التحكم إلى حد ما. لكن من المهم بالنسبة للتربويين أن هؤلاء الأطفال الذين يعرفون معلومات حقيقية لا يكون لديهم بصيرة بالضرورة، أو معرفة أو فهم. فإذا كان وجوده في العالم يعمل على اضطراب كينونته بطريقة تجعله منقسماً وتترجم علاقاته في هذا العالم على أنها محيرة أو حتى أنها بدون معنى، فإنه عندئذٍ يصبح ضعيف التكيف مع غيره ومع البيئة، ولن يُجدي الاحتواء الفكري للعلاقات المنطقية أو الفعلية في تغيير أي شيء إلى حدٍ كبير (Witkin 1974:1).

تقول Zara Patterson : الولد أظهر بشكل واضح هذا الضعف في الارتباط مع المعنى الحسي للذات. فخلال جمعه الحقائق من هنا وهناك، كان الولد يحاول أن يتكيف مع المدرسة والبيئة. بالنظر إلى رسومات الولد من هذا المنظور، أصبحت أدرك مهارته من خلال التكيف، في إقناع نفسه والآخرين التأكد من قدرته. وفي الواقع كانت رسوماته مجرد علامات وقوائم تفتقد للتخيل والفكر الرمزي. وفي أثناء العلاج المستمر بدأ الولد يدرك اهتمامي به على مدى ٤٥ دقيقة هي مدة الجلسة العلاجية الأسبوعية. وكنت على وعي تام أنه

إذا لم أستطع البدء في مساعدته على بناء ميكانيزم للفكر develop a mechanism for Thought ، فإنه سوف لا يستطيع قضاء وقت يؤكد فيه لنفسه على ما يملك من معرفة. وتجنبنا التماور المحير معه وعدم اقتحام أجندته، بل حاولنا بناء علاقة اتصال مشتركة وذات دلالة معه.

### العام الأول The First Year:

تقوم Zara Patterson من خبرتي الأولى مع الولد عرفت أنه ينبغي احتوائه داخل حدود واضحة بالنسبة لهذا الولد الفوضوي. ورأيت أنه شيء حيوي أن أؤسس بداية محددة وواضحة للجلسة وأيضاً نهاية لها بنفس الوضوح. وتحقق ذلك خلال عدة أشهر باستخدامي منهج توجيهي (Directive approach). لقد كان الولد يحتاج عوامل تذكرة ثابتة ليبدأ بها لكنه تدريجياً أصبح قادراً على السير العادي والاقتراب من باب الغرفة وإلقاء التحية قبل أخذ الأقلام وبدء الرسم. وعلى الرغم أنه احتاجني لأعد آخر خمس دقائق تنازلياً في الجلسة مع شيء من حثه على التوقف عن الرسم، إلا أنه أصبح قادراً على إنهاء الجلسة ومع تحية الوداع يغلق الباب وراؤه. وفي أحيان كثيرة كان يقول لي إلى اللقاء ويترك الغرفة ليعود بعد قليل ويفتح الباب قليلاً ليقول لي مرة ثانية إلى اللقاء ثم يؤكد قائلاً أراكي الأسبوع القادم. وفي الواقع أخذ وقتاً طويلاً كي يتعلم ترتيب وتنظيم المواد الفنية ووضع رسوماته في ملف.

ومع مرور الوقت وازدياد معرفتي بالولد، علمت أن لديه شيء من الإدراك بالفرق بينه وبين شقيقه وجماعة الأقران التي يرتبط بها لكن فهمه لحالة انطوائه على نفسه كان ضعيفاً. وبحضوره جلسات خدمة الانطواء على النفس عرف أنه كان يُعامل بشكل مختلف عن شقيقه اللذان يحضران في مدارسهما العادية، فكانت أحاسيس الغيرة والغضب من ذلك واضحة في رسوماته لكنه في ذلك الوقت لم يكن يستطيع توظيف هذه الأحاسيس أو التعبير عنها بصورة محددة. فالولد كان يريد ويؤمن أنه في حاجة لأن يكون الأفضل في كل شيء، فأظهر قدراً من التحامل على نفسه والتحمل أمام من هم أحسن حالاً منه، فيطلق عليهم الألقاب ويُشوش على ما يفعلوه. ومع مثل هذا الإحساس المُعظم بالذات، بدأ الولد يعتقد أنه بوجوده مع الناس أكثر انطوائية على نفسه أكثر من نفسه، فربما يصبح واحداً منهم. وفي نفس الوقت أصبح سلوكه فوضوياً جداً بالنسبة له إلى درجة عدم توافقه مع أقرانه في كثير من الدروس المدرسية. فقد كان من الصعب بالنسبة له أن يشعر أنه متوافق في أي مكان وأنه يملك حسية الانتماء.

في العلاج كان الولد يبدو كما لو أنه يرسم قائمة بعد الأخرى من أشكال كُمة الرأس لكن تعبيراته بدأت تنمو فعلياً بشكل سريع. وبنهاية العام أصبح يرسمها داخل مشهد طبيعي مع إحياء بوجود قصة حولها. وأصبح أنها احتمالية كبيرة لبناء داخلي، وكان شكلها يتطور شيئاً فشيئاً ودبت فيها الحياة مع البيئة الخارجية الموجودة فيها - أصبح لها انتماءً ما في مكان ما. كما أن لعبة Bee bee أصبحت جزء في الجلسة العلاجية تلازم يده دوماً بحيث تكون أسفل ذراعه أثناء الرسم.

طوال العام ظل الولد يُفاجئني بطرح الأسئلة لكنني وجدت أنني إذا لم أجب عليها، فربما تحدث له حالة ذعر أو هياج مثل رد الفعل المحتمل من جانب الأطفال المصابون بحالة ASD. وعلى النقيض، بعدم الإجابة على الأسئلة، فإنني بذلك أخلق شق في الفراغ، وأسمح لهذا الفراغ بأن يكون كفترة توقف للاستراحة تسمح لي بالتحدث والتعبير عن رأيي في أنه يسأل عن شيء ما ويعرف الإجابة أو يسأل عن شيء ما هو حقاً يريد أن يعرفه. وفي بعض الأحيان حاولت أن أكون جادة عندما لا تتوقف أسئلة الولد فأطلب منه التوقف عن السؤال. مما ينتج عن ذلك هدوء لم يكن هو يتحملة إلى حد ما في البداية. وبمرور الوقت بدأ يزداد وقت السكون، وعند ذلك بدأت أشعر أن الولد في طريقه لأن يكون مثالياً في فترات التوقف هذه، وشيئاً فشيئاً أصبح قادراً على الاستماع واستقبال المزيد مما أقول.

## العام الثاني The Second year :

تقول Zara Patterson : في أثناء العام الثاني أصبحت لعبة Bee bee تُحضر على فترات إلى المدرسة لكن كثيراً ما تحدثنا عنها وكثيراً ما رسمها الولد. وبدلاً منها كان الولد يُحضر معه نسخ جديدة منها والتي اختلف الإحساس بالنسبة لها عن معرفته بها أول مرة والتي بدت منفصلة عن الولد. وكان يضعها على التراييزة ويكون سعيداً عندما أحملهم له وكان يستمتع بتقليدها من جانبي والتظاهر بجعلها تتحدث تمثلياً. ولأن الولد استمتع بالاستماع إلى ما تسأله كُمة الرأس له، استطعت توسعة حواراتنا وبحث بعض القضايا على مستوى أكثر عمقاً. هذه طريقة عمل كانت إيجابية جداً، لقد أوجدت منها جانب أكثر مرحاً في عملي معه وأدخلت مفهوم التظاهر في حوارنا.

## "كلمات الرأس " "beanie"

لم تكن "كلمات الرأس " "Beanie" جميعها مبنية في كل رسم لكن كان الولد يُفضل عدد منها، هذا العدد الذي كان يرسمه تكراراً. فقد تطور إحساس قوي عن "المُصاحبة"

Togetherness في رسومات الولد، مع تصويره "كُمات الرأس" على أنها مجموعة مترابطة من الأصدقاء يشاركون بعضهم البعض في كل شيء. وبدلاً من رسم "كُمات الرأس" مُلهلة ومفككة كما في رسوماته الأولى، أصبحت الآن تظهر في الرسم تسير على أربعة أرجل أو ذات قامة مثل قامة الإنسان. ولم تعد أشكال بلا فائدة، بل أصبحت ذات عمل ونشاط. والصور أصبحت ملونة وفيها حياة، "جزيرة كُمة الرأس" و"منزل كُمة الرأس" يظهران في رسوماته على أنهما مكانين لكثير من التناقضات، فيهما جبال وبراكين وأنهار وغابات وزراعات وشواطئ. لقد جسدت رسومات الولد "كُمات الرأس" وهي تنتقل بين كل أركان الجزيرة هذه، وأعطاهما الولد الفكر والأفكار، أعطاهما الاستراتيجيات لحل المشكلات. فعلى سبيل المثال، في بعض الأحيان جسد الولد كُمات الرأس في رحلات طويلة مع شكل فيل يمثل المركبة لها في رحلتها الطويلة. إن إحساس الرفقة الطيبة والصدقة الذي نراه في رسومات الولد، يمثل انعكاس للعلاقة العلاجية أيضاً. فقد أصبحت الجلسات العلاجية له ذات أهمية بالنسبة له. وكنت أجد نفسي لمشاركة "كُمات الرأس" رحلتها وقصتها، بينما في نفس الوقت كان الولد يطلب مني الاحتفاظ "بكُمات الرأس" في حقيبته إن أحضرها معه إلى المدرسة.

لقد شعرت أن هناك إحساس بانفراجة نفسية يعيشها الولد عندما يأخذ الإذن بإخراج "كُمة الرأس" بحريته من حقيبته المدرسية ويحضرها معه إلى غرفتي. طوال هذا العام تطور لدى الولد الإحساس بالفكاهة وبدأ يفهم معنى المزاح. بعد سألني أحد أسئلته للاختبار، نظر إلى وجهي نظرة عميقة ومع ابتسامة على وجهه قال لي: "أنا لست في حاجة لأن أسأل هذا السؤال، أليس كذلك؟ فقد عرف أن هذا السؤال سوف لإيجاب عنه أيضاً، ونظر إلى تعبيرات وجهي، ومن هنا بدأت الفكاهة بيننا.

### الانتقال إلى المدرسة الثانوية Transition to secondary School:

تقول Zara Patterson : في نهاية السنة السادسة في المرحلة الابتدائية ينتقل الطلاب إلى المرحلة الثانوية. في مكتب خدمة الانطواء النفسي، يبدأ الطلاب برنامج زيارات الانتقال لكي يصبحوا في نهاية فصل الصيف الدراسي على أتم استعداد قدر الإمكان للتغيير الدائم - المتمثل في المرحلة الثانوية في سبتمبر. كان الولد سعيد جداً وفي حالة إثارة قوية كونه ينتقل إلى مدرسة كبيرة وفسحة وخدمة الانطواء على النفس بها. عندئذ ناقشت معه استمرارية العلاج فعرفت منه أنني سأستمر معه.

كنت ألتقيه مرة واحدة أسبوعياً على مدى عامين دراسيين في هذه المرحلة. وعلى الرغم أن رسوماته مازالت فيها "كُمات الرأس"، إلا أنه كان يستخدم قصصها أكثر وأكثر في

توظيف فكره وصنع معنى حسي لعالمه. وشعرت أن طبقة من طبقاته الدفاعية قد أزيلت وللمرة الأولى كان هناك إحساس لديه بقدرته على توقيير ذاته. ومن هنا بدأ يتقبل عدم المعرفة، وأدهشني كثرة أسئلته عن معاني كلمات يريد استخدامها، عندئذٍ أدركت كم هو في حاجة ملحة إلى مزيد من المعرفة عن وجوده وذاته مما يتحقق معه مزيد من هذه السلوكيات الإيجابية. ومع زيادة قدرته على أن يكون أميناً وصادقاً حول عدم معرفته، أصبح أيضاً أكثر قدرة على التعبير عن أحاسيس يراها أنها نقاط ضعف فيه. قد أعرب عن قلقه من التغيرات التي يمر بها في إحدى جلسات شهر أبريل العلاجية عندما رسم كُلمات الرأس فيما يصفه على أنه مطعم اسمه "جولي بوور Jolly Boar"، وهو المكان - من وجهة نظره - الذي يمكن لكُلمات الرأس أن تحصل منه على طعام لذيذ ومشروب جيد، وصور نفسه على أنه يقدم لهم الطعام والشراب. لقد لاحظت أنه يشعر بإحساس دافئ يستريح له (انظر شكل ١)



شكل (١)

هذا المطعم يجسد مكان احتضان مريح، أيضاً يمثل المكان الذي منه تتحرك عندما يكون مستعداً. "كُلمات الرأس" المستترة داخل عباءات قادرة على الظهور في صورة "متكبرة". وهو تجسيد أظهره الولد في رسوماته جعلني أفكر في العلاقات الغامضة لهذا الولد مع ماضيه ومستقبله.

على الرغم أن الولد أدخل تجسيدا له في صورتين سابقتين، إلا أن تجسيد نفسه على أنه بارمان في مطعم في هذه الصورة، من الواضح أن له دلالة عميقة. فالبارمان هو شخص له دور محدد في عمله والذي فيه يكون مُقدم الخدمة للآخرين والمعاونة لهم. والولد له

شخصية كريمة، وتقديم الطعام والشراب في الصورة تعبير مناسب جداً لشخصيته. وبينما كان يرسم هذه الصورة كان يشعر أنه سعيد ومسرور وترى في عينيه إحساس بالفخر.

ذات مرة رسم نفس هذا المطعم، وتحدث الولد عن المكان الذي فيه أعداد "كُمات الرأس" يأكلون ويشربون، وهنا الطعام والشراب يمثلان أشياء مخيفة، في الحقيقة أشياء سامة، فوصف الولد تلفيقاً مرعبة وتغير مزاجه النفسي، فأصبح في حالة إثارة عالية، يتحرك داخل الغرفة ويقهقه بضحكات سريعة متقطعة، وظل يأتي ويرسم المزيد ثم يبتعد، فشعرت بإحساسه بالخوف والقلق في سلوكه هذا. تحدثت معه عن الأحاسيس المختلطة عن الإثارة التي يشوبها العصبية والناجحة عن انتقاله إلى مدرسة ومرحلة جديدتين. فبدأ يتحدث عن الواجبات المدرسية التي كانت تطلب منه وحديثه عنها يدل على الشكوى منها، لكنه يقول أنها الآن سهلة جداً. وقال أنه يعرف كل شيء تعلمه في المدرسة الابتدائية. فشعرت أنه بإمكان هذا الولد التوافق مع التغيير المرحلي الحادث يجعل سنواته الابتدائية أشياء سيئة، أو غير جيدة.

في أثناء الأسابيع الأخيرة قبل أجازة الصيف، فصل الولد بين "كُمات الرأس" والعالم الداخلي المريح والمألوف في مطعم "جولي بوور"، ورسمهم جميعاً على أنهم ينطلقون إلى الفضاء، وصور عدد من كُمات الرأس داخل سفينة فضاء.

إن تجسيد الداخل والخارج أصبح يمثل موضوع في رسومات الولد. فإذا رسم صورة داخلية فإنه يرسم خارج لها في مكان ما في الصفحة في شكل صورة بسيطة.

تقول Zara Patterson تحدثت معه عن ما الذي يمكن أن تراه "كُمات الرأس" عندما تنظر إلى الخارج من خلال النافذة وهي تغادر جزيرة "كُمة الرأس"، بالإضافة إلى ما يمكن أن تراه أمامها في أثناء رحيلها إلى الفضاء. استطاع الولد أن يعترف أنه شعر كما لو أنه يطير إلى مكان غير معلوم ومجهول بالنسبة له. للحظة واحدة أحسست في عيناه أنه تاه في الفضاء. لم يجرؤ أن يفكر مرة أخرى في سنواته الابتدائية وذلك بسبب اعتقاده الخاطيء بأنه إذا تذكر كيف كان هو في هذه السنوات، فإنه ربما يصبح ولد صغير مرة أخرى وليس له صورة عن ذاته في المستقبل.

## المدرسة الثانوية Secondary School :

تقول Zara Patterson : في المرة الأولى التي رأيت فيها الولد في مدرسته الثانوية الجديدة عندما وُجّهت لي الدعوة للحضور إلى المدرسة لتحديد مواعيد جلساتي مع الطلاب. وعندما رأني هرع إلى وسألني متى سيلقاني، ظهر الولد أمامي أكبر سناً خاصةً وهو يرتدي زي المدرسة الثانوية ذو اللون الداكن. وأصبحت هويته المدرسية الجديدة موضوع رسوماته على مدى نصف فصل دراسي.

مع ترك كُمات الرأس في الفضاء في آخر جلسة لي معه قبل الأجازة الصيفية، رأيتها هبطت على الأرض في جلسة في المرحلة الثانوية، وسعدت كثيراً عندما قال لي أنها الآن في مدرسة جديدة. وبسرعة أمكنني المشاركة معه في قصة كُمات الرأس وعمل ارتباطات مع الحياة الخاصة للولد. وظهر أنه أكثر انفتاحاً للاستماع ويستمتع بالمقارنة بين ما كانت عليه كُمات الرأس وما هي عليه الآن وبما أن أراه فيه الآن. رسم الولد نفس شخصيات كُمات الرأس لكنها ترتدي أردية وملابس يراها الولد تشبه تلك التي يرتديها الأطفال الذين يحضرون إلى "هوجوارتس Hogwarts" في قصة "هاري بوتر Harry Potter". تحدثت معه عن الألوان المختلفة وكيف أن كل لون يمثل منزل مختلف في قصة "هاري بوتر". فقد كان الولد سعيداً أن يراه الناس وهو يرتدي زي المدرسة الثانوية.

بعد عدة أسابيع من رسم كُمات الرأس في ملابسها الجديدة وفي مدرستها الجديدة، أصبح الولد أكثر اضطراباً، فقد رسم هذه الشخصيات التعبيرية بدون أي سياق. كُمات رأس مفردة رسمها على ورقا كبيرة الحجم وتبدو منعزلة ووحيدة، فعالم الولد الذي بدأ إيجابياً يبدو أنه ينهار. فقد عايش خبرة "فترة شهر العسل" والآن أصبح يعيش خبرة واقع وضعه الجديد.

لقد عايشت خبرات طلاب كثيرون لهم رد فعل مشابه للانتقال من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية. فهناك رغبة لديهم ترك الماضي خلفهم، لكن يصاحبهم اعتقاد بأن حالة ASD المصابون بها ستذهب مع الماضي أيضاً، وهذا اعتقاد خاطئ وغير واقعي. فعندما يدركون ذلك في الواقع فإن حياتهم المدرسية ربما تصبح أكثر صعوبة ويعيشون فترة أزمة. ويصبح سلوك الانعزال واضحاً مع بعض الطلاب الذين تشغلهم سلوكيات التغيير، وطلاب



آخرون يصبحون مكتئبون ومنسحبون وآخرين يتصفون بالعدوانية والجمود أو فوضويون، مثل الولد.

تقول Zara Patterson : لقد كان ظاهراً انحسار الولد في جلسات العلاج بالفن، لم يكن قادراً على الجلوس طويلاً فكان يتكئ بجسمه كل على منضدة الرسم. فقد كان يحتاج أن يكون قريباً مني قدر الإمكان، وفي بعض الأحيان كان يرغب في الجلوس على رجلي أو الارتواء في حضني. لقد بدأ القلق والأمان له ظاهرين في الظهور مرة أخرى لحاجته لطرح الأسئلة التي يعرف الإجابة عليها، فجأة تعلق بوجوده مرة أخرى.

كانت أجازة أعياد الميلاد سبب في شيء من التغير بالنسبة للولد وعاد بعدها في حالة أقل فوضوية. في إحدى الجلسات ناقشته بشكل مفتوح وأكثر عمقاً عن قدرته على تذكر ماضيه والتفكير فيما كان فيه بدون أن يعود ذلك الطفل مرة أخرى. يعود ذلك الطفل مرة أخرى. رسم الولد كُلمات الرأس نائمة في منامة لكل واحدة. وزارهم بابا نويل في عيد الميلاد وأعطاهم هدية على فراش كل واحدة في داخل غرفة كبيرة ينامون فيها كان هناك جرس منبه لتوقع هجوم عليهم من أعدائهم، لكن باب الغرفة كان مغلق بإحكام. إحدى كُلمات الرأس كانت تحلم بمطعم "جولي بوو" شكل (٢)



شكل (٢)

فكرت كثيراً في تلك الغرفة الكبيرة المحكمة الغلق والتي تشبه رحم الأم والمليئة بكُلمات الرأس نائمات، ورأيت أنها رغبة من الولد في أن يُعالج ويُعامل في مكان آمن. هذا



الرسم هو أول الدلالات على تقدير الولد لحالة اللاشعور لديه. فلم يتحدث الولد من قبل عن أحلامه أو أعطى أية إشارة عن عالم الأحلام. هذا الرسم جعلنا نفكر في فكرة الحلم، ويذكر الولد تأكيداً على الفرق بين الحلم وعالم الواقع. أحسست بأنه أصبح يعرف أن بإمكانه أن يحلم وأنه سوف لا يعيش شخصيات أحلامه أو يصبح ذلك الشخص الذي يراه في الحلم.

منذ ذلك الوقت رأيت نمواً حقيقياً في قدرة الولد على البقاء داخل حالة فكرية ما وتفكيره في شيئاً ما قاله قبل ذلك. وبدأ يتكون لديه فكر بحثي وعقل يبحث عن مزيد من الإيضاح. ووجدت أنه بإمكانني الخوض في حوار صادق وصريح معه لإمكانية توظيف الأفكار وحلها. استطعت أن أتحدث معه عن خبرتي الأولى عنه وما هي خبرتي عنه الآن. فبدأ الولد أكثر فكراً وبصيرة، يطرح الاحتماليات حول أحاسيسه وسلوكياته وأصبح مُحب للإطلاع.

ويريد سماع الآراء الأخرى عنه. أيضاً تطورت تعبيريته التصويرية وتكامله إلى حدٍ ما، ورسومات "كُمات الرأس" أعيدت إليها الحركة مرة أخرى وظهرت مرة ثانية تتحرك بين داخل وخارج قلعتها أو جزيرتها. أخذت تأخذ أشكال من العصور الوسطى - أشكال الفرسان في تلك العصور، وكل كُمة رأس أخذت رُح ودرع واقية. ص ١٣٦ وبعضها أخذت رتبة اجتماعية وأظهر في رسوماته شكل للأرنب Teddy كقائد لهم يرتدي تاج الملك على رأسه.

#### الانتهاء Ending :

تقول Zara Patterson بعد أن مر بفترة صعبة، عاد الولد واستقر مرة أخرى وأظهر نمواً واضحاً، وقلت له وأنا غاضبة أنني ربما أرحل في شهر يوليو، وهذا معناه أنه ينبغي العمل معاً في إنهاء جلساتنا في الأجازة المدرسية التالية. عندما أخبرته ذلك، كان رد فعله الفوري أن سألني قائلاً: هل يمكنني تلقي العلاج مع تلك المعالجة التي ستحل مكانك؟ فلم أجب على هذا السؤال بطريقة فورية ومباشرة لأنني أدركت أن الولد في حاجة إلى جعل حياته متوقعة مرة أخرى بشكل سريع قدر الإمكان. استمر الولد في الرسم وبعد حوالي ربع ساعة توقف عن الرسم ونظر إلى وجهتي وقال: "سوف أفتقدك يا Zara". إنني أوّمن أن هذا يشرح بشكل واضح جداً استجابة القلق الانطوائية أمام فكر له دلالة. فأدركت يقيناً أن الولد أظهر قدرة على التفكير والاستجابة بصورة أكثر دلالة حال ذهاب إحساسه بالقلق.

ذات مرة مع تمكنه من إدراك فكره الحقيقي، استطعنا التفكير معاً حول عملية انتهاء العلاج. فعبر عن قلقه من أن ينساني بعد انتهاء العلاج. اتفقنا على التقاط عدة صورة فوتوغرافية لنا كحل عملي لمسألة النسيان لكننا ناقشنا الذاكرة أيضاً وكيف أن الإنسان لا يستطيع أن يُخزن في عقله كل شيء على مدار حياته. وتحدثنا عن ذكريات العلاج له ودلل هذا الحديث على أنه يتذكر قدر كبير جداً من تفاصيل مراحل علاجه والأكثر أهمية أنه تذكر ما هو كان مهماً بالنسبة له. ولم يكن من المدهش أن موضوع "من هو" أصبح هو موضوع رسوماته في الأسابيع الأخيرة في العلاج.

كنت أخبره كل أسبوع بموعد انتهاء جلساتنا معاً لكن الجلسات حدثت بها شيء من التغير، حيث بدأ يرسم كُلمات الرأس تغادر مكانها وتذهب إلى أرض معركة تستعد لخوض معركة في مواجهة أعدائها. في بعض الرسومات أظهر أن تلك المعركة حدثت بالفعل لكن كُلمات الرأس كلها كانت في أمان ولم يُقتل منها واحدة.

هذا التحرك بين الماضي والحاضر والمستقبل، وضح أنه تحرك إيجابي وانسيابي. الفرق الرئيسي في رسوماته هو أن "كلمات الرأس" في الرسومات الأخيرة ظهرت ترتدي ملابس حرب كاملة بما فيها خوذة الرأس، وأظهرها قوية وذات عضلات واضحة. ولم يعد ممكناً أن نعرف "من كان من" من مجرد النظر إلى الصورة فقط، فأصبحت كل صورة تشير إلى نفسها. وأشار إلى اختباري واختبار نفسه في مراجعة كل صورة ومن وراء الملابس الحربية. ولكي نخفف من حدة أحاسيس قلقي حول عدم تذكر "من كان من" في الصورة، وجدت نفسي أشير إلى أنه في حياة الواقع هناك الكثير من الجوانب في كل شخص تستخدمها لتساعدنا في معرفته وتذكره. وحدثته عن كيف أنني أذكره لشخصيته الصدوقة وللأشياء التي قالها وفعلها بالإضافة إلى كيف كان مظهره أمام عيني. في الصور التي رسمها بعد هذا الحوار، بدأ الولد رسم ما أصبح شعارات رمزية على دروع كُلمات الرأس، مثلاً، شكل الأسد يرمز إلى الشجاعة. وأدى ذلك إلى مزيد من المناقشات عن رموز أخرى تجسد أشياء مختلفة. نتناقشنا بشكل فكاهي عن ماهية الملابس الممكن أن نرتديها في مناسبات مختلفة اعتماداً على ما نشعر به. هذه الفكرة أعجبتنا وأدخلنا رمز جديد على إحدى الشخصيات المجسدة والتي عرفها بـ "Y" الحمراء. سألته عن هذا الرمز، فقال أنه يرمز إلى الأيام التي أحتاج فيها إلى طرح كثير من الأسئلة.

## الجلسة الأخيرة : Last Session

تقول Zara Patterson في آخر جلسة له بدأها بقوله أن كُلمات الرأس هي الآن في معركة، لكن عندما بدأ الرسم ظهرت كُلمات الرأس، رغم ارتدائها الدروع الحربية، كما لو أنها تصطف لتأخذ صورة فوتوغرافية جماعية بدلاً من خوض القتال. ورغم أنه أكد على وجود كل كُلمات الرأس في الرسم، إلا أن بعضها ظهر في الخلفية في شكل عصايات. أما الأخرى ظاهرة ولكل منها رمز. وفجأة أثناء الرسم، صاح الولد قائلاً: "إلى اللقاء يا Zara!"، ورأيت أنها حالة ثورة انفعالية تعبر عن غضبه وعدم سعادته. فصدمني هذا في البداية، ثم تركني أشعر بحزن عميق، وبعد ثورته الانفعالية هذه، رسم الولد مشهد من الطبيعة تتحرك داخله كُلمات الرأس. رسم الغابة أولاً، وتحدثت وهو يرسم كالاتي:-

الولد: إنها تخرج من الغابة.

Zara : حسناً، ماذا أمامهم الآن؟

الولد: من يعرف، فأني شيء ممكن أن يكون أمامهم، هم لا يستطيعون أن يعرفوا.

Zara : إنك على حق، أحياناً لا نستطيع أن نعرف، فهل تعتقد أنهم جميعاً على صواب هكذا؟

الولد: نعم سيفوزون في كل معاركهم، لأنهم على صواب هكذا.

لقد شاهدت تفاؤل الولد في رسمه لنار مشتعلة، فعلى الرغم أننا نرى في الرسم الأمطار تهطل على النار المشتعلة، إلا أنها لم تنطفئ، ويقول الولد إن ذلك شيء غير عادي أن تظل النار مشتعلة مع هطول الأمطار عليها، أليس كذلك؟ إنني أرى أن الأمطار تعطيني دفعة إيجابية. ومن كلامه هذا أحسست بقوة داخلية نمت داخله.

مع تبقي عشرة دقائق على انتهاء الجلسة الأخيرة، رسم الولد سحلية تتحدث إلى كُلمات الرأس. السحلية تحييمهم وتقول أقدم لكم صديقي Teddy، ملك جزيرة كُلمات الرأس. أنتم سافرتم بعيداً وهناك انتهت المعركة. وبقاعة كلامية داخلها يقول لا توجد أسئلة أخرى لطرحتها، إذاً، إلى اللقاء.

من هذا الكلام رأيت أنه يشبهني بالسحلية، في صورة سؤال طرحه سريعاً. فأكدت له إنه إذا اختفت السحالي، فإنها حتماً مازالت موجودة. وأكدت عليه أنني سأظل موجودة حتى إذا

لم يراني في الواقع، فسألني ما الذي سوف أفعله. تحدثنا عن حضوري يوماً ومقابلته في المدرسة. وهذا حفزنا على مناقشة كيف يتعرف الفرد على الآخر في المستقبل بعد غياب طويل. فقال الولد سنظل وجوهنا كما هي حتى وإن تغيرت ملابسنا.

رسم الولد سفينة فضاء صغيرة وخضراء اللون لكي تتطلق السحلية بها. وكتب رقم ١٣٢، فسألته عن هذا الرقم فأجاب قائلاً إنه رقم صفحات الكتاب، فأدركت أنه رقم جلسائنا معاً طوال تلك الفترة الطويلة والتي اعتقد هو أنني سأسجلها في كتاب. وكتب الولد هذه الكلمات الأخيرة له على الرسم قائلاً: "وهكذا يكون الفصل الأخير في كتابنا قد وصل إلى جملته الأخيرة في صفحته الأخيرة. إلى اللقاء".

## خاتمة

كتبت Zara Patterson : عند العمل مع الطلاب المصابون بحالة ASD لا يصح لنا أن نمر بحالة تلك وفشل فكري وحركي. فعندما عملت مع هذا الولد تولدت مثل هذه الأحاسيس في أوقات معينة فجعلتني عاجزة عن التفكير والتحدث، مما أدى إلى إحساس باليأس والإحباط، ومع قوة وتكرار بعض الموضوعات شعرت أنها أحاسيس قد تستمر لأسابيع كثيرة أكثر مما توقعته. إن رسم قوائم كُلمات الرأس في البداية كان مثلاً على هذا الشلل الفكري. في الواقع هذا التعبير التصويري الدفاعي ظل لفترة قصيرة. ومع بدء قدرة الولد على تحرير بعض من التوتر الذي ينتابه، فبدأ الفكر يثبت في عقله وأصبح النمو ممكناً. وتطورت رسوماته إلى صور ملونة تحكي قصة وتشرح كيف أنه خاطر بالبحث في بعض الأفكار والأحاسيس السابقة التي لا يتحملها.

على الرغم أنه سوف تظل هناك أوقات صعبة، إلا أن الولد الآن قادراً على أن يكون صادقاً مع نفسه ومع الآخرين. ولم يُعد يشعر أنه ينبغي أن يعرف كل شيء طوال الوقت لكن بدأ يسمح لنفسه الاعتراف بعدم المعرفة في مناسبات كثيرة وبإمكانه التعبير عن فضوله وحبهِ للإطلاع، إنه الآن يملك فرصة حقيقية لتعلم حقيقي.

## Conclusion:

Zara Patterson Writes : When working with students with ASD it is not unusual to feel paralysed and in a state of autistic stuckness. Working with The Boy, at times, generated such feelings, rendering me unable to think and speak. I felt despair and frustration and, by the power and repetition of some themes, was made to feel they had continued for many more weeks than they actually did. The drawing of beanie lists at the start was an example of this paralysis. In reality this defensive imagery was very short lived. As The Boy began to be able to let go of some of his anxiety, thoughts rather than ideas started to be held in mind and development became possible. His drawings developed into colourful pictures that told a story and illustrated how he risked exploring some previously intolerable thoughts and feelings.

Although there will still be difficult times. The Boy is now more able to be honest with himself and others. He no longer feels he should be all-knowing all of the time but can allow himself to admit to not knowing on occasions and can express genuine curiosity. He has the opportunity now to truly learn.

## References:

- Alvarez, A. (1992) *Live Company: Psychoanalytic Psychotherapy with Autistic, Borderline, Deprived and Abused Children*. London. Routledge.
- Tustin, F. (1992) *Autistic State in Children* (revised edn). London: Routledge.
- Witkin, R.W. (1974) *The Intelligence of Feeling*. London: Heinemann Educational Books.
- Winnicott, D.W. (1971) *Playing and Reality*. London: Tavistock.